

نتاج «حقبة 40 سنة من دون محاسبة»، في أول الحراك، بدأنا بالقول «المهم ألا نخلق إحباطاً جديداً، المهم ألا نبعد من الشأن العام بدلاً من أن نقرب منه». أعتقد (أتمنى) أننا اجتزنا هذه المرحلة... حتى لو انتهى الحراك قبل أسبوع لدينا أسباب كافية لئلا نحبط ولكي نستمر ونتطور. بعد أسبوعين، تجرأنا القليل وصرنا نقول: «بدنا الولد يعيش 6 أشهر». «البنوت» صححت لي ناشطة نسوية من الكورة. فليكن: أن تعيش «البنوت»، أن يعيش الحراك... هذه مسؤولية كل واحد منا، لأننا نعلم أن فشلاً ذريعاً للعراك يعني تمديداً ألياً لعشر أو 20 سنة لهؤلاء المحاصصين/الفاستدين... وهذه مسؤولية كل واحد منا أيضاً لأن الحراك آمن للجميع فرصة لم تكن بالانظار، وعلى كل واحد أن يملأها الآن، أينما أراد، في الحراك أو خارجه. بعد شهرين، أرى اليوم أن الأهم هو أن ننجح في إيجاد أطر لكي يستمر مبدأ المحاسبة والحقوق... لكي يبقى الحراك موجوداً حتى لو خرج مؤقتاً من الشارع. لكي ننجح في دفن عهر «الفكر الوحيد المتاح» إلى غير رجعة، فكر «اتفاق الزعماء بعد نهاية خلافاتهم»... الذي يتحكم بنا ويمثقفينا وبعلامنا منذ ربع قرن، ومفاده أنه بعد أن يفرض الزعماء خلافاتهم أو «مناقصاتهم»، لا يبقى مجال أو فسحة للأمل أو للاعتراض أو للتفكير أو للرفض أو للتغيير... المهم بعد اليوم أن تبقى دائماً فسحة أي خيار آخر للبنانيين... في النفايات وفي الأزمات الوطنية وفي كل شيء... قبل وبعد اتفاق الزعماء. وإذا تحقق ذلك، فهو أجمل إنجازات الحراك.

خاتماً كلمة وحيدة: الاستمرارية...

الظرفية في مجتمع مثل المجتمع اللبناني (قائم على عصبية نائمة وأرضية غير راسخة) ستخسر دائماً أمام الاستمرارية... هي المقتل. الناس سيستسمون لك، سيتحمسون لك، ثم يبنذونك إن لم تبق معهم، خصوصاً في أيام الشدة الداخلية والمجهول الإقليمي كالتّي نعيشها. وكسب ثقة الناس ليس قفزة... إنه مسار قد ينحول بعد وقت إلى نقلة. وفي كل الأحوال، إنه يتطلب وقتاً ووجوداً دائماً من قبلنا... وتأكداً وتجريباً دائماً من قبلهم... الإستمرارية ليست ألعاب نارية، أياً كان معانها، وبعد البريق، ستعود العتمة... فالأحزاب باقية معنا، والطوائف باقية معنا، والمشاكل باقية معنا، ويبقى علينا نحن أن نبقى أبداً مع أنفسنا ومع شعبنا، وشكراً. (مداخلة في ندوة «الحراك الشعبي، ثورة أو فورة»، ضمن سلسلة «حوارات جامعة» (جامعة القديس يوسف) في 7 تشرين الأول 2015)

* ناشط وصحافي لبناني

وفهمنا جميعاً الكفاية عن أرضنا المملومة الخ... كل ما أنا متأكد منه أن الحراك في الحقبة المقبلة إما أن يكون لامرئياً أو لا يكون... وعليه أن يجد صلة وصل تقلقني أيضاً إشكالية التعمق القطاعي، خصوصاً الجامعي. كيفما أنظر إلى الحراك، أفكر بالجامعة اللبنانية... ولو كانت معافاة، لكانت معمل الحراك 7/7 و 24/24... متى ستفتح الجامعة اللبنانية ملف الجامعة اللبنانية اللبنانية؟ متى سيفتح التعليم الرسمي ملف التعليم الرسمي؟ متى سيفتح ملف المحاسبة والفساد في الجامعة اللبنانية والتعليم الرسمي؟ يقلقني غياب (حتى اللحظة) حراكاً طلابياً وجامعياً... حتى في الجامعات الخاصة، الحراك في بدايته وليس

تقلقني دائماً في لبنان الأرض المملومة، والمستنقعات الممزوجة بالنفايات والفساد

بديهي التعويض بسحر ساحر عن غياب نضالات وطنية طلابية منذ أربعة عقود. في المقابل، ومن ضمن القطاعي، علاقة اتحاد المقعدين أو حملة الدالية مع الحراك (مبادرة في ملفها ومشاركة في الملفات الباقية) تبدو لي صحيحة وصحية...

3- في مقاربة الوضع العام

مع حراك أو من دون حراك، تقلقني دائماً في لبنان الأرض المملومة، المستنقعات الممزوجة بالنفايات والفساد والطائفية. عمر الحراك شهران وقد انفجر فيه عدد لا يستهان به من الألغام... وما زال موجوداً في العاصفة التي تحاول السلطة إغراق فيها الحراك، تبسيط المقاربة أحياناً ضروري ولكن لا يجوز أن يغني عن تعميق القراءة... المقاربة البنوية لن تخدم إلا لحقبة محدودة ولن تعوض بعد الآن فقدان «العقل» الجماعي لمواكبة المرحلة، علينا أن نفكر على الأقل «يومين إلى الأمام». - وتقلقني أخيراً وليس أخراً إشكالية الدولة أو (وهذا أدق) «ما تبقى من الدولة»، وكيفية التعاطي مع هذا الباقي؟ سؤال مربك للبنانيين بشكل عام والحراك بشكل خاص.

III

ان تعيش «البنوت»، ستة أشهر

انتقل إلى السؤال الأخير: أي مستقبل للحراك وضمن أي أطر؟ وأعدكم بجواب أقصر. أولاً - لا مجال للتنجيم حول مستقبل الحراك، فالكثير يتوقف على الخصم وعلينا أيضاً. ولا أجوبة شفافة بعد، فنحن مثلهم

الذي تقاطع معه يوماً. والأهم من كل ذلك، ما سبق ينطبق بنسبة مضاعفة على الجمهور الأعرض - أي الشعب اللبناني - الذي هو حاضن الحراك (لأنه غاضب أيضاً على طريقته) دون أن يشارك بنشاطات الحراك (حتى بداية تشرين، 15% من المستطلعين كانوا قد شاركوا ولو مرة بنشاط من نشاطات الحراك).

للأسف حراك «عالم المجموعات» لا يعرف الكثير عن هذا الجمهور العريض ولا يقدر حقيقة «الكوة» التي فتحها الحراك ككل. كل جهده موجه لتحقيق «انتصار» في ملف النفايات... مع أن المطلوب «متابعة» خلاقة للملف الذي لن يؤدي بالضرورة إلى «انتصار» ونقطة عالسطر... فقد سبق وحققنا الكثير في هذا الملف بالذات. مطلوب مع أننا حققنا الكثير. برأيي، هناك أطراف في الحراك لم تستوعب بعد الكفاية أنه، وحتى هذه اللحظة، عندما يخبر هذا «الشعب المستطلع» بين «طبقة الفاسدين» و«الحراك»، ما زال يختار الحراك لأسباب تتخطى أو تخطت أزمة النفايات. هذه مسؤولية كبيرة وكبيرة جداً، يرهبنني أن الحراك لا يوزنها كما يجب.

- النزعة الفردية تقلقني أيضاً. أمضينا يومين نرد على نقولاً شماس؟! وتطلبت جهداً لإعادة الحراك إلى النفايات.

- يقلقني صعود الذكورية في العلاقات ولو قرأت النساء البيانات، مع أن المشاركة النسائية كانت وما زالت مميزة في هذا الحراك... ومع أن الحراك بأمس حاجة إلى صفات «نسائية» لا أقول نسوية، وغير مهم صراحة جنس من يحملها.

2- في توسيع الحراك وتعميقه

يقلقني عدم استعداد (بمعنى التجهز) الحراك لاستقبال آخرين، حلفاء وجدوا قبله مثل الدالية أو الموقعين أو المفقودين أو النضالات النقابية القطاعية أو هيئات محلية أو مستقلين أو مبادرات فردية... أو استقبال كل ما هو قادم... إذا كتب للحراك أن يستمر... وعليه أن يستعد.

تقلقني إشكالية التطور المناطقي. ما الذي يعمق الحراك في المناطق؟ أن تفتح مثلاً طرابلس «ملف المحاسبة والفساد» في طرابلس أو أن «تلتحق» بالحراك المركزي؟ والباب الغليظ الذي نجحنا في شقه في بيروت لا يجب أن ينسينا وجود أبواب ليست أقل غلاظة في كل منطقة، ومهمة شقها ليست أسهل (بالعكس) من شق الباب البيروتي، وإن أصبحت أسهل من قبل بعد شق الباب المركزي. ويقلقني السؤال التالي «هل طرابلس تستطيع أن تحاسب طرابلس إن لم تحاسب بدورها النبطية النبطية؟».

المجتمع كالتيار المكهرب، وحررت اللغة، والبعض علق على هذا التيار قضاباً أخرى كانت بقت عالققة (في 29 آب تحديداً).

أنا لا يقلقني تعدد المجموعات (وهي سمة عامة لهذا النوع من التحركات الغاضبة) وقد أجد ووجدت فيها أوجهاً تغني الحراك. في الحراك المركزي - البيروتي إذا شئت - هناك 6 أو 7 أو 8 أو 9 «مجموعات

شبابية» حسب كيفية تصنيفها... حسب نمط تشكيلها، انطلاقاً من صداقات و/أو نضالات سابقة، أحياناً انطلاقاً من ائتلافات «حزبية» تقليدية أو جديدة. هناك أيضاً أطر من طبيعة مختلفة ك«المفكرة القانونية» التي أراها مثل «الأخت الكبيرة» للحراك (لا تشبه «التيار النقابي المستقل» - حنا غريب، أول ضحية لطبقة المحاسبة والفساد الذي لا يشبه بدوره «فرح العطاء» - أحلى عطاء للحراك)... والحركة البيئية تدخل وتخرج من الحراك حسب قانون خاص بها. وقد تقصدت السلطة وأعوأها شقها واستخدامها ضد بعضها البعض وضد الحراك ولم يعرف الحراك التعاطي مع هذه الظاهرة... يحاول الحراك تنظيم صفوفه وقد نجح (إلى حد) بعد 22 آب في تنظيم «الفوضى الخلاقة» وفي إيصال «عربة المجموعات» تقريباً سالمة حتى المحطة الحالية. وهو جهد يجب أن يستمر لتحسين التنسيق والشفافية، احتراماً لكل من يثق بنا ويحضننا.

سأزعل أصحابي في كل المجموعات على الأكد إن قلت أنني لم أجد فيها هذه التوجهات الفكرية والسياسية التي يوجبها السؤال... أولاً لأن في الحراك لا وقت لها. وثانياً لأنها إجمالاً هويات ما قبل حراكية. وحتى المجموعات التي ولدت مع الحراك فليست اليوم كما كانت قبل شهرين. هناك في المقابل، فوارق في أنماط العمل وهو ما شكل حتى الآن محور النقاشات وماداتها.

مصادر القلق

هناك أشياء كثيرة تفرحني وتطمئنني في الحراك، ولكن لن أحدثكم الآن إلا عما يقلقني (احتراماً لصرح العلوم السياسية الذي يجمعنا اليوم) ومكتفياً الآن بالعناوين، نعود إليها إذا شئت في المناقشة.

1- في الحراك

يقلقني أحياناً انتهاء المجموعات بنفسها وبتنافسها. وإذا اختلفت بين بعضها، أكد أنه سنصل إلى مشكلة. ولكن إذا تفقت، أحياناً يوجد مشكلة أيضاً لأن النقطة التي يتفقن حولها قد لا تهم الجمهور العريض. وإذا صح أن 29 آب هو نقطة تقاطع لا نقطة التحام، فمن الممكن ألا يملك الحراك أدوات كافية لفهم أو تأطير ما يطلبه هذا الجمهور

والمستباحة

السياسية اليومية وجذبت جمهوراً عتيداً من جميع الفئات الاجتماعية والأعمار، جمهور تعددي يعتبر أن على الناس العاديين وأجهزة الدولة المتاحة التحالف والتعامل اليومي والاستفادة من فرصة التعادل في نفوذ القوتين الأساسيتين 8 و 14 آذار، وأمكن هذا التعادل أن يلغي قوة الطرفين الفاعلة على مستوى أجهزة الدولة العميقة لانشغال الفريقين في خلو كراسي الدولة التنفيذية المباشرة. فألقة والقوة المضادة مكنت أجهزة الدولة أن تعمل من جديد بكثير من الحرية والاستقلالية والثقة في تطبيق القوانين والشروع في إحلال بعض العقلائية الضميرية والقانونية في مسيرة هذه الهيئات الرسمية الفاعلة، فلمع نجم الجيش وقوى الأمن والبلديات المحلية واتحاداتها والجامعة اللبنانية والمستشفيات الحكومية والمؤسسات الصناعية والطيران الوطني والبنك المركزي، وبدأ الناس في حراكهم في الشوارع أو في ثباتهم في منازلهم وأعمالهم يشعرون أن بالإمكان بل من الأفضل العيش بالخروج عن المعادلة الطائفية الناظمة للعمل الحكومي والعمل السياسي، والاكتفاء بوطنية الدولة العميقة على ما تحقق

للمواطنين من حدود دنيا للحياة دون أعباء وتبعيات المعادلات الطائفية وزعماء الطوائف القابضين في كراسي السلطة الحاكمة. وبات هذا النمط يتمدد وعباً يومياً في النسيج الاجتماعي الوطني اللبناني ونتج عنه نمط تغيير حقيقي حركي متنامي سقفه وهدفه السامي بناء الدولة الحديثة العلمانية.

ننتقل من المؤشرات أعلاه للنظر وتحليل الحراك الشعبي الحالي في بيروت، وفي كل المناطق بما فيه من مطالب شعبية تعبر عن مظلومية شعبية عامة وتاريخية، جراء فشل ذريع في أداء الدولة المباشرة منذ الاستقلال حتى اليوم. وذلك رغم محاولات عديدة للإصلاح لم تنجح في كبح جماح المد والجزر الطائفي في إدارة الدولة الطائش الى ما وصلنا اليه اليوم في الأزمة الحياتية والمعيشية من شلل.

يتألف الحراك الشعبي من فئات اجتماعية وطوائف اعتادت عدم التلاقي تبعاً لوروثها الطائفي والطبقي على أرضية مشتركة مهما كانت المطالب. فنجدتها تسير اليوم في الحراك موحدة وجامحة للتغيير والكلام الصريح عن الزعامات الفاسدة وغش التمثيل وسوء وعين الأداء والفساد والمحاسبة. ويحمل

التزم السياسيون المعنيون موازين القوى الطائفية وفق توزيع فرنسا للمناصب

الحراك بذوغ وعي مفهوم وفائدة الدولة العميقة العادلة الذي يلفظ ممارسات الدولة المباشرة البلوتوقراطية النفعية المحققة وزعاماتها الأبوية الطائفية الطاغية. فانتقل الحراك للمطالبة بدولة مباشرة أهلية ماهولة وظيفية ورفض الدولة الأبوية الطائفية المحققة وأيضاً نخبها وتوابعها، فاتحة لباب النقد والمحاسبة والتصحيح شروعا الى تغييرات بنوية جذرية. فنفي الدولة المباشرة هذه هو أيضاً نتيجة نفي النفي بين القوتين 8 و 14 آذار المتناحرة والمتعادلة ما شرع الابواب للحراك في التوغل في مسألة الأداء السلطوي، ناهيك عن حسن ادارته ونزاهته ومحاسبة الماضي. الجدير بالذكر ان عديد الحراك وتنوع في تلوينه لا بأس به، ولكنه لا يزال يتعاطى مع قلة نخبوية وهامش شعبي ضئيل وهناك غموض لأهدافه السياسية المستقبلية من عدمه. كما

* رئيس تجمع عائلات بيروت